

النشاط الدعائي - الإعلامي النازي في الجزائر 1939-1945

(مقاربة تحليلية سياسية - تاريخية)

Nazi Propaganda and Media Activity in Algeria 1939-1945 A political and historical analysis approach

الطاهر سبغاق

جامعة الشهيد حمّـه لخضر الوادي الجزائر

Sebgag-tahar@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2021/ 07/01 تاريخ القبول: 2021 / 11/30 * تاريخ النشر: 2022/04/15

ملخص:

اعتلى أدولف هتلر السلطة عام 1933 بعد فوزه في انتخابات نفس السنة وشرع بعد ذلك في تطبيق سياسة الحزب النازي في كافة مناحي الحياة، لقد أولى هتلر عناية خاصة لمجال الإعلام والدعاية لقناعته بأن الحرب ليست بالسلاح فقط فأنشأ لذلك جهازا دعائيا إعلاميا ملّكه كل اللوازم والصلاحيات ليؤدي وظيفته على أكمل وجه، ووضع على رأسه احد ابرز رجال الحزب النازي وهو جوزيف غوبلز (1897-1945) والذي نجح في تعبئة الألمان وإسناد الحزب النازي داخليا وخارجيا، و كما نجح في زعزعة و إرباك أعداء ألمانيا في عقر دارهم وفي مستعمراتهم، ومن بين ضحايا هذه الماكينة الدعائية كانت في البلاد العربية مشرقا و مغربا، حيث شهدت بلدانها حملات دعائية إعلامية ونفسية مكثفة كانت بمثابة الدعامة الأساسية السابقة والمرافقة للعمل العسكري الصرّف. سأعرّض في مقالي هذا إلى خطورة الوسائل المستخدمة و الأهداف التي راھنت عليها القوى الاستعمارية لتفكيك الوطن العربي والتحكم في مصيره وذلك وفق مقاربة منهجية تاريخية تحليلية.

الكلمات المفتاحية: النازية ؛ هتلر ؛ الدعاية ؛ غوبلز ؛ الإعلام .

Abstract:

After winning elections of 1933, Hitler developed the country in all parts of life and he especially gives great importance to media and propaganda for his conviction that the war was not only a weapon. He created a propaganda service with all powers to do his job perfectly, then placed it under the control of Joseph Goebbels (1897-1945) who won in mobilizing Germans and recruiting them to support Nazi's Party in the realization of its projects, and succeeded in destabilizing enemies of Germany abroad and disturbing them in their colonies, among the victims of this dangerous machine was the Arab countries, in which German Nazi's was very strong. I will try to treat the subject basing on an analytical approach in order to detect and explain why media was also effective weapon in peace and in war too.

Keywords: Nazism; Hitler; Media; Propaganda; Goebbels.

تمهيد :

لم تمر الحرب العالمية الأولى دون أن تترك آثارا عميقة على العلاقات الدولية طوال فترة ما بين الحربين، تأثر بها الجميع و لاسيما المنهزمون وعلى رأسهم ألمانيا التي قام المنتصرون في مؤتمر الصلح بباريس بإذلالها وفرض عقوبات قاسية ومهينة عليها، في مقدمتها دفع تعويضات، حسب الخبراء آنذاك، لا يفلح الألمان في تسديدها حتى في أوقات السلم؟!

على خلفية هذه الشروط المجحفة الواردة في معاهدة فرساي التي وقّعها الوفد الألماني دون مناقشة انتشرت في نفوس الألمان حالة من الغضب و الاستياء زرعت في أذهانهم رغبة جامحة في الانتقام و الاقتصاص ممّن كانوا وراء ذلك الإذلال و الاهانات وبالخصوص فرنسا و بريطانيا. وأصبح الألمان يتوقون إلى بروز شخصية قادرة على رد الاعتبار للألمان وتخليصهم من شروط معاهدة فرساي .

في هذه الظروف ومع مطلع الثلاثينات من القرن العشرين برزت على الساحة السياسية الألمانية شخصية أدولف هتلر الذي تألق نجمه داخل الحزب الوطني الاشتراكي الألماني (النازي) كزعيم وطني مخلص وخطيب سياسي شدّ الأنظار و اسر العقول لم يلبث أن شارك و فاز في انتخابات عام 1933 فأصبح مستشارا للرايخ الألماني ثم بعد وفاة الرئيس هينبرغ عام 1934 أصبح هتلر الزعيم الأوحد لألمانيا ليسارع بعدها إلى جمع كل السلطات وشرع بتنفيذ سياسة الحزب النازي مستهلاّ إياها بتصفية خصومه وتطويع الجيش عتادا و تعداد و إتباع سياسة حازمة صارمة في الداخل و توسعية عدوانية نحو الخارج، وقد تزامن تنفيذ هذه السياسة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية بل كان تنفيذها إيذانا ببداية المشهد الأول منها.

سوف أتناول في هذا المقال، وفق مقاربة تحليلية وصفية ومقارنة، كيف وظّفت الدول الاستعمارية المتنافسة أجهزة وأساليب الدعاية لدحر بعضها البعض في المجال الجغرافي العربي المغاربي حصرا، خلال الحرب العالمية الثانية، و اثبت أن ذلك لم يكن إلا امتدادا لما دأبت عليه تلك الدول في مساعيها من اجل السيطرة و بسط النفوذ على شعوب الوطن العربي، فنراها أقامت أجهزة متخصصة في الدعاية تقننت في استنزاف معنويات بعضها البعض مستخدمة شعوب المغرب و المشرق العربيين كأدوات للتنفيذ فأوهمتهم بأنها معادية لأعدائهم، وقد تألقت ألمانيا النازية في استخدام أسلوب الدعاية لتأليب الشعوب العربية عامة و الجزائريين خاصة ضد فرنسا و بريطانيا في المشرق و المغرب العربيين. هل ارتبطت الدعاية بوصول النازيين فقط أم مورست قبلهم؟ كيف تطورت الدعاية النازية أثناء الحرب العالمية الثانية؟ وما هي ابرز مظاهرها ؟ وكيف تعامل النازيون مع الجزائريين ؟ وماذا كانت ردود الفعل الجزائرية في مواجهة تلك الدعاية؟

1- جذور الدعاية في الجزائر

لم تكن الحرب بالسلاح فقط، فقد كان الإعلام أيضا سلاحا فتاكا وحاسما من خلال توجيه الرأي العام والتحكم فيه ، ولقد نشطت أجهزة الدعاية لدى الطرفين المتحاربين، الحلفاء و المحور وقبلهما الوفاق الثلاثي و الحلف الثلاثي، من خلال استغلال وسائل إعلامهما المكتوبة و المسموعة لشحذ همم المؤيدين و الأنصار ودفعهم إلى مزيد من الدعم والتأييد، أو على الأقل تحييد المتفرجين منهم، ومن الجهة الأخرى تشويه صورة الخصم واستنزاف معنوياته وزرع الشك في قدراته و ترهيبه من قدرات خصمه، وتطورت وسائل و أساليب الدعاية أكثر خلال الحرب العالمية الثانية، وقد تفنن النازيون في إدارة الدعاية الممنهجة لتقوية أنفسهم وإضعاف خصومهم خاصة الفرنسيين و البريطانيين، في المغرب و المشرق العربيين وخارجهما.

تعدد ممارسو الدعاية من كلا التكتلين، الحلفاء والمحور، وتعددت وسائلهم وأساليبهم حسب الظروف وموازين القوى، وقد كان من بين المستهدفين الأوائل في هذه الدعاية : الشعوب العربية، أما بغرض استقطابها للتأييد والمساندة أو شحنها للمعارضة والعصيان حسب ما تمليه المصالح .

كان أهالي المغرب العربي- وغيرهم من المسلمين- في المستعمرات الفرنسية و البريطانية أهدافا للدعاية وأدوات لها من الطرفين المتحاربين، سواء منهم العرب المستقرين في أوطانهم أو المهاجرين منهم إلى خارج الديار، وبحكم الحدود المشتركة مع فرنسا والحدود التاريخية المتولد عن معاهدة فرساي كان الفرنسيون آنذاك أكثر حرصا من غيرهم على تأديب و إذلال الألمان لذا كانت الدعاية النازية ضد فرنسا ومصالحها أكثر حرارة و تركيزا ولما كانت الجزائر جوهر المستعمرات الفرنسية كان نصيبها الأكبر من الدعاية النازية.

لقد كان الحقل العسكري خصباً لهذه الدعاية إذ ليس جديداً على الألمان محاولتهم استمالة أهالي المغرب العربي عموماً والمجندين منهم في الجيش الفرنسي بوجه خاص، هذا الأخير الذي تمكّن إلى غاية فاتح أوت 1914 تم تجنيد 82751 عسكري و 87519 عامل و 2479 احتياطي أي ما مجموعه 173019 مجنّد جزائري (م.قدّاش:2012: 34)، وقد عمل الألمان وفقاً لقاعدة "عدو العدو صديق" لاستقطاب المجندين الجزائريين و زرع روح التمرد في أوساطهم، بدأ ذلك في الجزائر خلال الحرب السبعينية وازداد أكثر إنشاء الحرب العالمية الأولى، حيث أكد الكاتب الفرنسي ديبارمي¹ عام 1915 ما يلي: "إن ألمنة الجزائر قد بدأت خلال الخمس عشر سنة الماضية" (Desparmet.J, 1915:48) ، وذلك عن طريق جواسيس ألمان تردّدوا على الجزائر كثيراً لاسيما في السنوات القليلة قبل اندلاع الحرب. ويؤكد كاتب فرنسي آخر وهو أوغسطين برنارد (Gérard.J, 2013:36) إن هؤلاء الجواسيس حاولوا إظهار ألمانيا بمظهر حسن، وربطوا علاقات جيدة مع الأهالي، وحاولوا تحريضهم للثورة ضد فرنسا.(Bernard.A,1915:88)

لقد استغل الألمان سوء معاملة الجيش الفرنسي لأفراده من المجندين المسلمين لاستمالتهم مثلما ورد في شهادة الضابط الجزائري المسلم الحاج عبدا لله بوكابويا الذي عدّد مظاهر سوء المعاملة التي كان يتلقاها المجند الجزائري من القيادة العسكرية الفرنسية مبرزا التمييز الواضح و الفادح في مجال العطل والاستراحة والمناوبة وجراية أو حصص التغذية وظروف التوقيف والرقابة على المراسلات...الخ (Abdallah,1915:3-40) وأشار أيضا إلى أن جهاز الدعاية الألماني استغل تلك العيوب و النقائص لإعادة توجيه المجندين المسلمين ضد جيشهم الأصلي - الفرنسي - لدعم التحالف العثماني الألماني، وقد وضّح هذا الضابط الجزائري بكثير من التفصيل و التدقيق مظاهر حسن المعاملة الألمانية في مجالات شتى كالعبادة والمراسلات و التغذية (Boukaboya.A.H, 1917:60-71) لم يكن الألمان لوحدهم ينشطون دعائيا لأن خصومهم لم يكونوا مكتوفي الأيدي بدليل ما مارسوه من ردود أفعال في مجال الدعاية المضادة و الجوسسة، كما كان لحلفاء الطرفين وغيرهم نشاطا محسوسا في بلدان المغرب العربي مثل العثمانيين - ولا سيما دعاة الجامعة الإسلامية- والبريطانيين و البلاشفة فما بعد، ولم يقتصر النشاط الدعائي على الجزائر و امتدّ قولا وفعلا إلى المغرب الأقصى متمثلا -على الأقل حسب ما اعتقده الفرنسيون- في دعم و إسناد الثائر الجزائري الأصل الأمير عبد المالك ابن الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان بدوره مسنودا من أخيه الأمير علي الجزائري نائب رئيس المجلس الوطني العثماني وزعيم المهاجرين الجزائريين (سعد الله، 1983: 204) ، وفي ليبيا أيضا حسب التصريحات الفرنسية الرسمية، دعت ألمانيا الطريقة السنوسية إلى مساعدة الجزائريين (سعد الله، 1983: 204).

في كثير من الأحيان أخذت الدعاية بعد مزدوجا لتحقيق أهداف مشتركة بخلفيات متباينة غايتها استقطاب الجزائريين، فتكاثفت الجهود العثمانية-الألمانية بالتنسيق و التعاون لكسب مؤازرة الجزائريين، العثمانيون

بالعزف على وتر العاطفة الدينية باعتبار أن السلطان العثماني هو حامل لواء الخلافة الإسلامية وطاعته من طاعة الله وان واجبات الإخوة و التضامن بين المسلمين تقتضي ذلك، إما الألمان استثمروا في عيوب الفرنسيين التي تضرر منها الجزائريون بكل براغماتية غايتهم إما كسب اصطفاة الجزائريين إلى جانبهم انطلاقا من قاعدة "عدو العدو صديق" أو على الأقل ضمان حيادهم، في نفس الوقت لم يهمل الألمان استخدام العاطفة الدينية لفعاليتها وتماشيها مع الدعاية العثمانية الصديقة.(Meynier.G, 2010:509)

بالنسبة للشيوعية العالمية لم تحظ القضية الجزائرية لديهم باهتمام بالغ بالرغم من إعجاب الجزائريين بالأفكار الثورية للبلشفة لأن الحزب الشيوعي الفرنسي هو من كان يؤطر الحركة الشيوعية في الجزائر وهو الوصي عليها وقد كان - أي الحزب الشيوعي الفرنسي- يرى خلاص الجزائر مرهون بخلاص فرنسا من السيطرة الامبريالية الفرنسية، وقد عبّر عن ذلك بوضوح فرع سيدي بلعباس مصرّحا: تحرير أهالي الجزائر لا يمكن أن يتحقق إلا نتيجة الثورة في فرنسا (سعدا، 1983: 343) ولم يكن الشيوعيون السوفييات يرون أو يقدّرون ما يجري في الجزائر إلا من خلال عيون الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان حاضرا في كل مؤتمرات الأممية الشيوعية ولم تكن له نظرة تقدمية تحررية للمسألة الجزائرية، وبالنسبة للموقف الرسمي السوفيياتي ليس هناك ما يدل على تدخله في المشكل الجزائري قبل الحرب العالمية الثانية- باستثناء ما ذكره أبو القاسم سعدا الله نقلا عن صحيفة نيويورك تايمس ليوم 28 سبتمبر 1928 بشأن اتهام السلطات الفرنسية في الجزائر لبحارة الباخرة السوفيياتية "فيغا" بإحضارهم لأكياس من الكتابات الشيوعية بغرض نشر الدعاية في أوساط الفرنسيين و الجزائريين كما اتهمتهم بعقد اجتماعات يظهر فيها فضائل حكم بلادهم (سعدا، 1983: 337-365). استمر الحزب الشيوعي الفرنسي في ممارسة الدعاية لاستقطاب الجزائريين خلال فترة ما بين الحربين ولاسيما في أوساط فرق المجندين الجزائريين مثلا في سيدي بلعباس ووهران وقسنطينة(199-195:Recham.B)، وذلك قصد تشجيعهم على التمرد و العصيان دائما تحت مظلة التضامن الطبقي للبروليتاريا أينما كانت وضد الامبريالية الرأسمالية مهما كانت طبقا للمرجعية الايديولوجية الشيوعية.

على الرغم من تنوع مظاهر الدعاية وتعدد الأطراف التي مارستها تبقى الدعاية النازية سيدة المشهد السياسي قبيل وخلال الحرب العالمية الثانية سوى من الألمان أنفسهم أو من طرف أنصارهم من الفرنسيين في الجزائر و في فرنسا وغيرها من الأماكن وبالخصوص في الفترة بين 1940-1943 وهي الفترة التي حققت فيها دول المحور انتصارات باهرة في أوروبا و المشرق العربي و شمال إفريقيا على حساب الحلفاء الذين وهنت قوتهم العسكرية و السياسية بفضل التفوق العسكري الفعلي الألماني وفعالية الدعاية النازية وهو ما رفع زئبق الأمل لدى شعوب مستعمرات الدول المتحالفة في التخلص من الهيمنة الأوربية وإنعاش الأمل في التحرر بالاعتماد على القدرات الذاتية و الدعم النازي الألماني.

2 - مظاهر الدعاية النازية ووسائلها

بدأت الدعاية مع اعتلاء الفوهرر أدولف هتلر للسلطة عام 1933 وأصبحت أكثر تنظيما وعمقا بعد الانتصارات الساحقة و الخاطفة التي حققها الجيش النازي على الجبهة الغربية و الشمالية والشرقية من أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، ولقد عرفت الدعاية تطورا جليا بعد سقوط باريس وقيام حكومة فيشي العملية للألمان في باريس و امتداداتها في المستعمرات الفرنسية.

ليس غريبا ما حققته الدعاية النازية من مكاسب و نجاحات فقد اشرف عليها مختصون مدربون محترفون قادمهم وزير الدعاية الألماني الدكتور بول جوزيف غوبلز²، من بين المستهدفين من هذا العمل الدعائي

الجزائريين المجندين وغير المجندين في الجيش الفرنسي في المغرب العربي مع بداية الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد استسلام الفرنسيين في بداية صيف 1940 واستلام حلفائهم - أنصار فيشي - مقاليد الأمور في باريس و في الجزائر، وقد كان الألمان يعلمون مدى اعتماد فرنسا على خزان مستعمرات المغرب العربي في قضية التجنيد وفي مقدماتها مستعمرة الجزائر، لذلك وضع المكلفون بالجهاز الدعائي الألماني نصب أعينهم الاستراتيجية التالية: أولا بداية الدعوة للسلم بغرض كسب تعاطف مسلمي المغرب العربي، ثم تشكيكهم في القدرات الحربية الحقيقية للفرنسيين والبريطانيين، ثم بعد ذلك تعطيل عملية التجنيد و التعبئة التي استهدفت سكان المنطقة من طرف فرنسا. (Recham.B,1996:145) ومادام الحسم في الميدان عسكريا كان التركيز الألماني بالغا في هذا المجال لإضعاف الجيش الفرنسي و زعزعة ثقة الجزائريين في قوته وكسر حاجز الخوف منه ومن حلفائه و بالمقابل توصيف الجيش الألماني بالقوة التي لا تقهر، وسأعرض لاحقا بالتفصيل مثالا لمفعول الدعاية النازية في الميدان العسكري من خلال تحريض احد الأفواج العسكرية في الجيش الفرنسي على التمرد، وهو فوج الليفانت الراحل والذي اغلب أفراد من المجندين الجزائريين.

لأن الغاية تبرر الوسيلة، وغاية النازيون الألمان هي إقصاء فرنسا من الجزائر وإحلال محلها طبعاً ولو أن هذا غير مصرح به- وحلفائها في باقي المغرب الغربي، لذلك تعددت المجالات لتمس كل مناحي الحياة السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية والإعلامية و النفسية مادام ذلك يقلل من شأن فرنسا و يضعف من قوتها، وبالنسبة للوسائل فقد أجاز الألمان لأنفسهم استخدام واستغلال كل الوسائل المتاحة والممكنة لتحقيق الأهداف النازية.

في المجال السياسي والإيديولوجي عملت الحكومة الألمانية على الترويج و التسويق لأفكار هتلر وشعاراته حيث على الرغم من المشاعر العدائية التي عرفت عن الفوهرر تجاه العرب و الساميين عموماً إلا أن الجهاز الدعائي النازي قدّمه كمنقذ ومناصر للعرب وأمعنت مصالحي الاستخبارات النازية في ترجمة مقاطع منتقاة بعناية فائقة إلى العربية بعض ما جاء في كتابه "كفاحي"- تمت الترجمة إلى الفرنسية عام 1934 في جزأين من 688 صفحة- وتحاشى المترجمون الألمان بشكل متعمد ما يجرح مشاعر العرب و يقرّ بدونيتهم مثل:

- العرب شعوب ثرثرة متعالية بدون عمق أو رصيد.....
- تجمع العرب هو ائتلاف من العجزة لا يعول عليهم في مواجهة الأقوياء.....
- ليس لي الحق في أن اربط مصير شعبي بهذه الأمم المستضعفة وأنا أعرف دونيتهم العرقية

(Mekhaled, 2012:5-19)

كما ركزت مصالحي الاستخبارات الألمانية على توظيف معاداة الاستعمار عامة و معاداة اليهود بشكل خاص لاسيما وهم يعلمون خفايا المشروع الصهيوني في الشرق الأوسط وعلاقته بالاستعمار الفرنسي والبريطاني، وهو ما شجّع النازيون على الاستثمار في شدة العداوة التي يناصرها العرب لليهود والظهور أمامهم بمظهر الصديق المعادي لأعدائهم والمساند لمطالبهم أي أن موضوع اليهود أصبح فزاعة يرفعها الألمان في وجه العرب لكسب انحيازهم وهو ما صرّح به الحاكم العام الفرنسي مارسيل بيروتون حين قال منبهاً رئيس المجمع اليهودي في الجزائر العاصمة: "لقد خضع العرب لعمل دعائي ألماني عميق مفاده هزيمة الألمان تعني عودة اليهود للحكم" وإن المستفيد الأول من عودة الانجلو-ساكسون هم اليهود. (Ageron C:1979:1-39) .

لم تتوان ألمانيا النازية أيضا في تشويه صورة الحلفاء و التقليل من شأنهم في عيون العرب بالإشارة الى علاقاتهم بالشيوخ الذين "لا دين لهم وهم أعداء الإسلام و المسلمين"، وهي الوسيلة التي طالما استخدمها الألمان و خصومهم كلما أرادوا دغدغة عواطف وروحيات الشعوب الإسلامية لتحبيدها او لتجنيدها حسب مقتضيات الظروف وموازن القوى و طبيعة العدو الواجب مواجهته وقد كانت جدّ فعالة في التأثير عليهم، فاستغلّت المناسبات الدينية وقدمت فيها التهاني وأتاحت للأسرى المسلمين من جيوش الحلفاء و المجندين المتطوعين والمتعاونين مع الجيش النازي والفاشي إمكانية الاحتفال بهذه المناسبات وأداء الشعائر الدينية المرتبطة بها . ومجّدت الشخصيات الإسلامية ذات الصيت الواسع والمقبولية لدى شعوب العالم الإسلامي و أكرمتهم و أحسنت استقبالهم ومكنتهم من التواصل مع الرأي العام الإسلامي عبر الصحف و المحطّات الإذاعية أو نراها أشادت بهم و بمواقفهم واثنت و ثمنت ما ذكره أو كتبه بشأن علاقة ألمانيا النازية مع العالم الإسلامي واذكر من هذه الشخصيات شكيب ارسلان والمفتي الحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني وعبد الحميد بن باديس ومصالي الحاج وعبدالكريم الخطابي والحبیب ثامر والحبیب بورقيبة وعلال الفاسي والدكتور محمد تقي الدين الهلالي واحمد بلافريج والمكي الناصري و عبد الخالق الطريس وغيرهم .(Ageron C:1979:1-39) لقد تراجع أو تحفّظ بعض هؤلاء عن انحيازهم و دعمهم للنازية بعدما اكتشفوا أو تبيّنوا النوايا و المقاصد الحقيقية للنازيين و حلفائهم والتي لا تعدو أن تكون هي الأخرى توسعية استعمارية عنصرية وأدركوا أن انحيازهم للعرب ما هو إلا موقف تكتيكي براغماتي أملت ظروف الحرب و موازين القوى الدولية ومن هؤلاء الذين تراجعوا أو ابتعدوا أو تحفّظوا تجاه العلاقة مع ألمانيا اذكر مصالي الحاج وعلال الفاسي وتوفيق المدني وآخرون .

وفي نفس السياق نجحت الدعاية الألمانية في استقطاب العديد من الشخصيات الوطنية العربية النشطة في الحقل السياسي في أوروبا و المغرب و المشرق العربيين منهم المغاربة و التونسيين – وقد ذكرت بعضهم- ومنهم بعض الجزائريين الذين وجدت أن الاغلبية الساحقة منهم ينتمون إلى حزب الشعب الجزائري تعاملوا مع الألمان و راهنوا على دورهم في تحرير بلادهم، منهم من كان اتصاله بهم بشكل سرّي دون علم الزعيم مصالي والهيئة المسيّرة للحزب و آخرون منهم تحدّوا الزعيم ولم يعيروا اهتماما لمواقف باقي الطاقم المسيّر للحزب، وكان البعض الآخر شخصيات مستقلة غير متحرّبة:

-الشخصيات التي لها علاقة بحزب الشعب عضوية أو تعاطفا:رشيد عمارة، طالب محمد، الشريف بن أمين، عبدالرحمان ياسين، عمر حمزة، محمود عبدون، محمد هني، موسى بلقروغ، الحاج شرشالي، راجف بلقاسم، محمد ابغربوشن، الشاذلي المكي ، احمد مزغنة، محمد المعدي (مصطفى بشير أو باشا)، عمار خيذر، محمدي السعيد، الشيخ سعيد الزاهري، جيلالي بن تهامي، صالح الشريف، السيد بلحوان، احمد بلغول، سي الجيلالي، محمد بوراس، محمدي السعيد، الهادي محجوب، محمد حبوش،

-الشخصيات المستقلة: السيد قاسمي، الاغا عجو سعيد، فضيل سي العرابي، سالم بن محمد جامع، مبارك بن مختار ايت الحاج، امقران بن محمد علي،السعيد بن محمد عيسات، مصطفى باشا، الشريف ساحلي، عبد الحميد عابسة، احمد حمّاني.

كما لم تهمل تلك الوسائل دور الأمير شكيب ارسلان في الاتصال و التنسيق مع النخبة السياسية المغربية في المهجر وخاصة مصالي الحاج (نويهض، 1980: 304-305)، وايضا زيارته المتكررة للمغرب الأقصى ودعم كفاحه ضد الفرنسيين والأسبان والنظر في إمكانية استثمار ذلك النشاط وتلك التصريحات في إرباك وتقليل دور المجنّدين الجزائريين و المسلمين عامة في الجيش الفرنسي، فيكون ذلك في مصلحة الرايخ

الألماني، وهو- أي شكيب ارسلان- الذي صرح لإذاعة برلين " أن الفرنسيين و الانجليز يدركون يقينا انه لو حدث و قُدرت الشعوب التي يقمعونها درجة ضعف هؤلاء الذين يقمعونهم لطردوهم (اجرون، 2008: 871-895).

علاوة على ما سبق عمدت أجهزة الدعاية النازية أيضا إلى استغلال الصحافة المكتوبة للتأثير على سكان المغرب العربي وكسبهم إلى جانب ألمانيا من خلال إبراز محاسنها ومظاهر قوتها العسكرية و الاقتصادية و الثقافية وحسن نواياها تجاه العرب المسلمين في المغرب العربي و خارجه و حرصها الشديد على بذل أقصى مجهوداتها لإنقاذ المسلمين من الاستعباد الفرنسي و البريطاني واستثمرت في سبيل ذلك كل الوسائل في شتى الحقول للتأثير على المسلمين كالدين والتاريخ والثقافة والفن وتمجيد الأعلام والعلوم والتقنيات الحديثة آنذاك ، ووظفت في سبيل ذلك جيش من المختصين والعارفين بشؤون العالم العربي الإسلامي من الألمان والايطاليين والأوروبيين وخاصة من الشخصيات العربية المعجبة و المنبهة بالقوة و الرفعة النازية، وعلى هذه الأخيرة كان الرهان كبيرا أولا على أساس أن " أهل مكة ادري بشعابها " و لما لا "بشعوبها" أيضا، وثانيا " و"شهد شاهد من أهلها" فهذه الشخصيات غالبا ما كانت تحظى بشعبية و قبول لدى أهل المغرب العربي . في هذا الإطار نشطت الكثير من الصحف الممولة و الموجهة من جهاز الدعاية الألماني والمسيرة من طرف الألمان العارفين بالشأن العربي-الإسلامي أو من المغاربة و العرب عموما موزعة من حيث مكان الإصدار بين برلين وباريس والبلدان المغاربية الثلاث (تونس، الجزائر، المغرب) مثل: الأمة العربية، الدنيا الجديدة، الجهير، لسان الأسير، الوفاق، إفريقيا الفتاة، الشعب، بريد الصباح، الوحدة المغربية، الرشيد... (Ageron C:1979:1-39) كما انخرطت أيضا بعض صحف المعمرين في العمل الدعائي لصالح الألمان مثل " لاديبش الجيريين، درنيير نوفيل، روفيه بونوا، لافوا دي كولون ولقد كانت هذه الصحف عموما تشيد بالألمان وتلمع صورة بيتان وجماعته أو تشوّه صورة الحلفاء و أتباعهم (سعد الله ا، 1986: 173-178) و حسب فرحات عباس فان 80% من المعمرين كانوا موالين لحكومة فيشي و الألمان من اجل الاحتفاظ بالجزائر (سعد الله ا، 1986: 174) وبطبيعة الحال كان ذلك النشاط الصحفي وتلك المواقف المختلفة للمعمرين متأثرة بالدعاية النازية أما طمعا في سقاء الألمان أو خوفا من بطشهم.

بالإضافة إلى الصحف نشطت الدعاية النازية كذلك في تحرير و توزيع المنشائر بالعربية الفصحى والدارجة والامازيغية والفرنسية في بلدان المغرب العربي خاصة، تحرّض فيها على التمرد و عصيان أوامر القيادة الفرنسية المعادية للألمان أي أنصار فرنسا الحرة، بعض هذه المنشائر كانت ترمى من الطائرات أو تعلق في الساحات العمومية أو توزع في الأسواق وأماكن العبادة وفي المناسبات العامة كالأعراس أو عند قدوم الحجاج، وبلا شك كان أحرار فرنسا من أنصار شارل ديغول يقومون بنشاطات دعائية مضادة لإضعاف خصومهم الفرنسيين من أنصار حكومة فيشي في المغرب والمشرق العربيين .

على الرغم من الحيازة القليلة بل النادرة لأجهزة الراديو لدى العائلات الجزائرية والتي بلغت سنة 1941 حوالي 9833 جهاز راديو نصفها (4515) في مدينة الجزائر لوحدها (Ageron C:1979:1-39) ، مع ذلك تبقى " حرب الأمواج الإذاعية" المجال الذي كانت فيه المواجهة على أشدها بين الطرفين من خلال بث حصص إذاعية عديدة استهدفت مسلمي المغرب والمشرق العربيين، كانت تبث من راديو برلين (زيسن) و راديو شتوتغارت، و راديو باريس- الدولية ثم في وقت لاحق ثلاث مراكز بث أخرى في ميونيخ و ساربروكن و فرانكفورت، كانت تنشر الأخبار و التعليقات الدعائية المعادية للفرنسيين (الأحرار أي أنصار ديغول) و البريطانيين، من ابرز هذه الحصص: الصوت العربي الحر – برلين- ألمانيا- فرنسا الحرة- منبر الحقيقة-

باريس الدولية - فرنسا الوفية - إفريقيا الفتاة راديو الجزائر و غيرها (Mekhaled, 2012: 5-1) وقد تألق في الحصة الموجهة للمشرق العربي المذيع العراقي التونسي الأصل، يونس بحري، وفي الحصة الموجهة للمغرب العربي برز التونسي عبدالرحمان بلحاج احمد المدعو ياسين (Recham.B, 1996: 147) وآخرون كثيرون وان لم يكونوا من الوجوه الإعلامية إلا أنهم ساهموا في تنشيط الحصة الإذاعية و تمرير الخطاب الإذاعي الدعائي النازي بالعربية و الأمازيغية و الفرنسية مثل تقي الدين الهلالي وحافظ ابراهيم والجيلالي بن تهايمي و مراد وراجف بلقاسم ومحمد ايغربوشن ومحمد التركي ومحمد المعدي وغيرهم.

وقد كان هؤلاء المذيعون يؤكّدون إخفاقات الحلفاء و انتصارات الألمان ولقد تفنّنت تلك المحطّات في اختيار الكلمة المؤثرة بكل اللغات واللهجات المفهومة، مع اختيارا لوقت المناسب واختارت لتلك الكلمات الثوب المناسب دينيا كان أو سياسيا أو تاريخيا أو اجتماعيا و ثقافيا المهم انه ينجح في اختراق النفوس بسرعة و تستوعبه العقول وتستحسنه و تتبناه و تتولى نشره والدعوة إليه، ومن ابرز المقتطفات التي يمكن ذكرها هنا ما يلي:

" أن ألمانيا ستخلص شعوب شمال إفريقيا من القيد الفرنسي قريبا" و" بعث الله الألمان للانتقام لسكان شمال إفريقيا" و " سيزيل الله القمع الفرنسي وسينتقم الألمان للعرب" (اجرون، 2008: 871-895).
"نحن نسألكم يا معشر المسلمين كيف تعينون فرنسا وهي لم تعترف لكم بأي حق، بل هي تعتبركم في مرتبة دنيا"،

"بما يمكن أن نفسّر ولأكم لفرنسا؟ هل هو وضعكم المحزن و المخزي؟ الأهالي يئنون تحت ثقل الضرائب، يعانون من قلة التغذية لأكثر من قرن من الزمن، لا يتلقون من التعليم إلا النزر اليسير، وإذا ما حاولت بعض النفوس الكريمة التحرر من الاضطهاد الفرنسي سارعت فرنسا لسجنهم.... أن واجب التزلف أصبح هو السائد.. يجب لعق أذية الفرنسيين فقط لأنهم فرنسيين و يملكون المدافع و الرشاشات... الأكيد أن لا احد من الجزائريين يحب فرنسا." (Ageron C: 1979: 1-39)

"أن السلطات الفرنسية تتوعد أبناء تونس و الجزائر و المغرب بعقوبات عسكرية في منتهى القسوة في حالة ما إذا تهربوا من مساندة فرنسا في الحرب.. وهي حرب لا فائدة من ورائها لهم، أهالي المغرب العربي يعلمون أنهم إذا ما ساندوا فرنسا ستزيد فرنسا من إيذاء إخوانهم. وهذا يعني أيضا انه بدلا من أن تضعف الهيمنة الفرنسية تزداد أكثر." (Ageron C: 1979: 1-39)

"لا تدافعوا عن من يضطهدكم وهو السبب في بؤسكم و ينعثكم بأبشع الأوصاف" (Ageron C: 1979: 1-39).

"يقبّع الفرنسيون في الصفوف الخلفية يغنّون و يشربون و يتدبّرون بإطلاق الرصاص في الهواء بينما يوضع المجندون من الأهالي في الصفوف الأمامية عند المواجهة." (Ageron C: 1979: 1-39).
وفي مناسبة عيد الأضحى: " فلندعو الله سويا أن ينصر الألمان وتستقل إفريقيا الشمالية..." تسقط فرنسا، يحيا العرب، تحيا الحرية." (Ageron C: 1979: 1-39) ...

ولإيقاظ الهمم والعزف على وتر العروبة : "فلتأتي الوحدة العربية، إلى العمل ! الأمة العربية لم تمت! لا لم تمت! توحدوا أيها العرب و تحرروا." (Ageron C: 1979: 1-39) !"

-ولم ينس المذيعون التذكير بالأمجاد من خلال الشخصيات الوطنية البارزة "تذكروا الأمير عبد الكريم الخطابي الذي اتعب الفرنسيين ، وكفاح الحبيب بورقيبة المثير للإعجاب، و علال الفاسي، ومصالي الحاج وكل النخبة الجزائرية التي ذاقت العذاب على يد الفرنسيين.." وفي ذكرى وفاة ابن باديس صرّح الدكتور تقي الدين الهلالي أن "عصابة إنداب فرنسا هم من سمّوا الإمام فقتلوه ودعا الجزائريين إلى الانتقام" (Ageron C: 1979: 1-39).

في الححصص الموجهة للمغرب العربي أعلن المشرفون على الدعاية للنازية وحلفائها في إذاعة باريس الدولية التي افتتحت يوم 20 يوليو 1940 أن أصوات المسلمين التي طالما خنقتها فرنسا أصبح بمقدورها أن تكون مسموعة من باريس عاصمة فرنسا نفسها. وحسب المصادر الفرنسية فإن الدعاية أثمرت في كسب ود وتعاطف الجزائريين وإلا بما يفسر تستر الأهالي الجزائريين على الجنود الألمان لمدة سبعة أشهر دون الوشاية بهم كما حدث في عنابة و المنصورة؟ (سعدالله، 1986: 174).

وقد كانت محطة إذاعة الرايخ الألماني تنشر مجلة "بريد الشرق" كل أسبوعين، برعاية وزارة الخارجية الألمانية التي كانت تتولى التنظيم و التوزيع من خلال وكالتي ترانز اوزن و د. ن. ب، في حين تتلقى الصحافة العربية المقالات الجاهزة (هيرزويز، 2015: 176-177). وفي نفس السياق قرر الألمان رفع وقت الإرسال في المحطات الإذاعية الثلاث المخصصة للبلدان العربية في المشرق العربي من 95 إلى 205 دقيقة، ووافدت مراسلين إلى سوريا، ودعمت جريدة "النهار البيروتية" وصحف أخرى بالأجهزة اللازمة، وأعلنت عن نيتها الاستعداد لإرسال أفلام ونشرات متنوعة إلى دور السينما في بيروت ودمشق و حلب في المستقبل القريب (هيرزويز، 2015: 176-177).

في الحقل العسكري نجحت أجهزة الدعاية النازية في استقطاب عدد كبير من شباب المغرب العربي وشكلت منهم تنظيمات عسكرية تعمل تحت الراية الألمانية، وأقحمتهم في حربها ضد الحلفاء، مثل الفيلق الجرمان-العربي الذي تأسس في بداية الحرب العالمية الثانية برأس سونيون في اليونان، وكان قوام هذا الفيلق 800 جندي عربي، 300 منهم عرب مشاركة والأغلبية الباقية مغاربة تدرّبوا رفقة 5200 جندي ألماني بنية إرسالهم إلى شمال إفريقيا لكنهم وجهوا إلى القوقاز. وإلى جانب ذلك تأسست فرق أخرى في المغرب العربي مثل الكتيبة الإفريقية والكتيبة الجزائرية ومليشيا شمال إفريقيا لإسناد قوات فيشي والجيش النازي في تونس وإيطاليا. في نفس السياق أثمرت المساعي الألمانية في المجال العسكري فكسبت ألمانيا تعاطف العرب والمسلمين وخاصة في المغرب العربي وحصرها في الجزائر أين كانت فرنسا تمارس استعمارا استيطانيا وضع البلاد والعباد في خدمة فرنسا، ومن أبرز الأحداث العسكرية البارزة التي ارتبطت بفرضية التدخل والتأثير بالإيعاز الألماني هو التمرد الذي وقع في ثكنات الحراش بالجزائر عام 1941.

تمرد فوج الليفانت الراحل 25 (R.M.L) جانفي 1941

تأسس هذا الفوج الذي سمي بفوج الليفانت³ (نورالدين زين، 1971: 10) في ظرف عصيب، خلال الحرب العالمية الثانية، في الجزائر، أين كانت فرنسا منقسمة على نفسها بين مؤيدين ومعارضين للنازيين الألمان سواء داخل فرنسا أو في مستعمراتها. تأسس هذا الفوج بغرض إرساله إلى الشام لدعم جيش المشرق (زين العابدين، 2008: 75-85) الفرنسي هناك وبوجه خاص لاستخلاف الشعبة العسكرية 86 التي لم تبحر بلاد الشام منذ 1939. تشكّل هذا الفوج من ثلاث فيالق، الأوسط منها كان يضم ثلاث كتائب وقائد برتبة عقيد وهيئة أركان، وقد تمركز في الحراش ضواحي الجزائر، في نفس المكان الذي كان يأوي الفوج الخامس للرملة الجزائريين⁴، كان يفترض أن يتكون فوج الليفانت من أكثر من 3200 مجنّد جزائري من مختلف وحدات الناحية العسكرية التاسعة عشر⁵، على أن يكونوا من الرماة و الصبايحية⁶ المتطوعين فقط، ومن الذين لديهم خبرة ما بين 4 إلى 12 سنة في الجيش الفرنسي. ساهمت في هذه التشكيلة مقاطعة قسنطينة بثلاث العدد الإجمالي، ووهران

ب96 عسكري، والمساهمة الكبرى كانت لمقاطعة الجزائر بأكثر من 2000 عنصر، تجدر الملاحظة أن الجميع كانوا متطوعين للذهاب للشام ماعدا 800 من الرماة الجزائريين جرى اختيارهم بالتعيين، والأمر غير المألوف أن جميع جنود فوج الليفانت المتمرد كانوا من الأهالي.(Recham.B:197-198)

حسب التقارير العسكرية، كانت هذه الضاحية ذات سمعة سيئة، معروفة بأحيائها القصديرية المليئة بالمنحرفين والمتشردين، وفي وسطها السجن المدني الكبير الذي يوجد بين جدرانها الزعيم مصالي الحاج (نويهض، 1980: 304-305) وعشرون من رفاقه في انتظار محاكمتهم بتهمة القيام بأعمال معادية لفرنسا. شاع أيضا في هذه الإثناء أن مدينة الجزائر كانت تعج بالجواسيس من كل صوب وشبكات الاستعلامات والتخريب الديغولية والشيوعية والأجنبية(Recham.B:195)، بالإضافة إلى لجان الهدنة الألمانية-الإيطالية التي كانت دائمة الاتصال بالأوروبيين و الأهالي الجزائريين.

وقائع التمرد ونتائجه

قبيل حدوث التمرد وصفت تقارير المقدم بلوت من مكتب الضباط الثاني، الحالة المعنوية لسكان المنطقة بالمقلقة. وفي يوم 25 جانفي 1941 عند الساعة التاسعة ليلا بدأ التمرد في مقر الفوج الراحل للليفانت بالدعوة للجهاد من المحرضين: إخواننا المسلمين هذه الليلة سنحارب من أجل قضية مقدسة!، ادعوا الله!، من تعرض للقتل سيكون مأواه الجنة!، كونوا رجال!.

كان عدد المتمردين حسب ش.ر.اجرون 600 جندي(Ageron, sd:39-50)، وحسب ب. رشام 570 (Recham.B:196-197)، خرجوا احتجاجا على قرار الإدارة الفرنسية نقلهم إلى بلاد الشام، قتلوا الحراس وهاجموا مخازن الأسلحة، وتوجهوا إلى وسط مدينة الحراش وحي بلفور القريب منها وهم يصيحون: الجهاد...الجهاد!، أيها الرماة فلندافع عن حقوقنا!....ثم اخذوا يطلقون الرصاص على المارة والنوافذ المضاءة ليلا، فسقط العديد من القتلى و الجرحى من الأوروبيين والمسلمين، وبقيت العديد من الشخصيات مختبئة في مقر البلدية، وبقي أكثر من 200 متفرج محتجزين داخل قاعة السينما، ولكن لا احد من المتمردين توجه نحو السجن الذي يأوي مصالي الحاج و رفاقه.(Recham.B:196-197)

استمر التمرد حتى الصباح الباكر من اليوم الموالي، بعد مطاردات ليلية مضنية وأبحاث وتفتيشات لاحقة تم إلقاء القبض على معظم المتمردين ماعدا أربعة لم يعثر عليهم، وغير المتوقع هو أن أسلحة بعض الموقوفين من المتمردين هي أسلحة مملوكة بطريقة غير شرعية من طرف بعض الأعيان ومستشاري البلديات وأئمة المساجد، وهي أيضا لا تتطابق مع أسلحة مخازن الفوج الأصلي (Recham.B:196-197) .

أسفر التمرد على مقتل 23 شخص وجرح 130 آخرين (Clayton, 1994:314) وحسب تقرير 01 مارس للجنرال باينيت، قائد الناحية العسكرية 19، فقد قدم للمحكمة العسكرية 146 متمرّد، صدرت أحكام مختلفة ضد 74 منهم 27 بحكم الإعدام (34 حسب مراجع أخرىAgeron:39-50)، (sd)، و6 حوكموا وأطلق سراحهم، ليبقى 66 في انتظار المحاكمة، يضاف لهم 186 مشبوه لا يمثلون أمام المحكمة العسكرية، منهم 91 تم شطبهم من الجيش و95 أعيد توجيههم إلى أسلاك أخرى. وعلى اثر هذا التمرد تم حل فوج الليفانت و استبداله بالفوج الثالث عشر للرماة الجزائريين، وفي نهاية مارس عام 1941 استبدل بأربع سرايا من الفوج السابع لقناصة إفريقيًا وبطارية مدفعية.(Recham.B:197)

حسب احمد محساس⁷ إن هذا التمرد يحمل طابع عمل موجه كان سيمتد إلى كل اقامات العساكر الجزائريين التي باتت متأثرة بالحراك السياسي الوطني خارج الثكنات، وقد كشف هذا التمرد - دائما حسب

محساس- حجم التذمر الذي كان يشعر به المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي جراء المضايقات و المظالم التي تعرضوا لها (محساس، 2003: 186).

من جهة أخرى تعددت الأطروحات حول توصيف التمرد ودوافعه، وتوجّهت أصابع الاتهام إلى حزب الشعب الجزائري و عناصر من المجنّدين الجزائريين أنفسهم وإلى الجهات النازية وإلى المسؤولين العسكريين الفرنسيين، حملت السلطات المدنية الفرنسية مسؤولية التمرد للنشطاء السياسيين الجزائريين والمنتمين منهم بوجه خاص إلى حزب الشعب، في حين اتجهت اتهامات جنرالات الناحية العسكرية 19 إلى جهتين اثنتين، الأولى هي القيادة العسكرية المباشرة على فوج الليفانت من حيث النقائص و التقصير، والثانية هي الحملات الدعائية النازية.

كانت المآخذ المسجلة على الجهة الأولى أي القيادة العسكرية الفرنسية فهي:

-قلة التجانس و التماسك داخل فوج الليفانت،

-رداءة التأطير و التكوين، والعجز الفادح في الضباط وضباط الصف الفرنسيين،

-التشكي و عدم الرضا في صفوف جنود الفوج من الأهالي الجزائريين بسبب عدم المساواة في الأجور،

-قلة الحماس والدافعية للمشاركة في محاربة عرب ومسلمي الشام،

-ارتفاع نسب المعيّنين في الفوج بدلا من المتطوعين،

-التأجيلات المتكررة لمواعيد الانتقال إلى الشام.(Recham.B:198-199)

-لجوء بعض المؤطرين إلى إرهاب المجنّدين المسلمين بتمارين عسكرية مرهقة ومتكررة وأحيانا تعمد إجرائها

يوم الجمعة. (Clayton, 1994:314)

أما الجهة الثانية المتهمة بتحريك و توجيه المتمردين وهي النازية ومن ينسّق معها من الجزائريين وعلى رأسهم بعض مناضلي حزب الشعب الجزائري PPA⁸، حسب تصريحات العسكريين الفرنسيين دائما فإن بعض المدنيين الجزائريين اتصلوا برماة فوج الليفانت وابلغوههم بأنه لن يرفع علم آخر، في المستقبل، بجانب العلم الجزائري غير العلم الألماني. كما يؤكد نفس العسكريون على اثار العلاقات المقربة بين مناضلي حزب الشعب الجزائري ورجال السلطة والجواسيس الألمان في الجزائر وباريس، وتأثر بعض المجندين من فوج الليفانت المتمرد، الذين كانوا سجناء في المحتشدات الألمانية في فرنسا وألمانيا بما تعرضوا له من تلقين وتوجيه للتمرد وعصيان وأمر القيادة العسكرية الفرنسية وإبداء التعاطف والتأييد مع مبادرات ألمانيا ومؤيديها الفرنسيين من أنصار حكومة فيشي .

ودائما بعد سقوط باريس في يد الألمان وقيام حكومة فيشي الفرنسية العميلة لهم، لم يعد الألمان وحدهم من يتولى الدعاية لصالح المحور ضد الحلفاء في الجزائر بل أصبح الفيشيون، إتباع الماريشال بيتان، يقومون بهذا الدور لإسناد النازية والفاشية و تلميع صورتها في عيون الجزائريين وبالمقابل تشويه صورة الديغوليون أنصار حكومة فرنسا الحرة ومن يساندهم في الجزائر و خارجها. وقد ذكر الجنرال ويغان في مذكراته أن الجزائر كانت مسرحا للدعاية الألمانية وهي دعاية تخريبية مارسها حتى بعض الفرنسيين الذين كانت لديهم مصالح في خبط الأوراق السياسية، وحسبه دائما، كان الألمان يطلقون سراح الأسرى الجزائريين المنتمون للجيش الفرنسي و يعيدون إرسالهم إلى الجزائر بمباركة جماعة فيشي بعد أن درّبوهم على ممارسة الدعاية لصالح النازية و حلفائها (سعد الله ا، 1986:169).

3- ردود فعل الجزائريين تجاه الدعاية النازية

تنوعت المواقف و ردود الأفعال تجاه الدعاية النازية في الجزائر، فنجد أن الشعب الجزائري الرفض للفرنسي الذي اغتصب أرضه و جرّده من ممتلكاته و أهانه وحرمه من أبسط حقوقه، هذا الشعب المغلوب على أمره بقوة الحديد والنار وجد في الألمان والجيش النازي و الزعيم هتلر الذين قهروا وهزموا فرنسا في عقر دارها، فتح الألمان إمامه نافذة تبشّر بالأمل في النجدة والخلاص من الهيمنة الاستعمارية الفرنسية. على هذا الأساس ارتسمت الصورة الايجابية للجندي الألماني وللدولة الألمانية وزعيمها في المخيال الشعبي الجزائري تجسّدت ملامحها و خصائصها في الحديث اليومي للناس و في المناسبات و الشعر الشعبي بشكل سرّي غالبا و علني أحيانا، فأصبح هتلر مثالا ينعّت بـ"الحاج هتلر" ويوصف بالمنقذ والمخلص و "المهدي المنتظر"، وبالمقابل ازدادت صورة وسمعة فرنسا تشوّها وقبحا في عيون عامة الشعب الجزائري.

كانت هناك العديد من الأغاني و القصائد والإشعار الشعبية ردها الناس والكشافة و تلاميذ المدارس، ومن ابرز الأغاني التي ترددت في منطقة جرجرة بعضها يصف زعيم النازية بـ" هتلر الشهم، هتلر المنتصر، الكريم، الذي يريد قهر الظلم عن الشعوب البائسة" (م.قداش، 2012: 822-838) وفي أغنية أخرى في نفس المنطقة:

" ياهتلر سأقص عليك ما حدث في هذه البلاد

هتلر تكرهنا، لقد أوسعتنا شتما و كأننا السبب في مأساتها

مازالوا ينادوننا (الجداء) والشعير لا يوجد إلا بالكيلوغرام

هذا ما لم ير قط في هذا البلد نحن في الشقاء

تعال بسرعة أيها الأسد نحن المسلمين نريدك أسرع يا ابن اللبوء (Ageron C:1979:1-39).

ومن ابرز مظاهر التأثير بالدعاية النازية و التفاعل معها أملا في استغلال دعمها للتخلص من الهيمنة الفرنسية هو قيام بعض الشخصيات المستقلة غير المتحيزة بالاتصال بالألمان و محاولة الاستفادة منهم وجرّهم لاتخاذ مواقف و إجراءات عملية لدعم العناصر الوطنية في الكفاح ضد فرنسا – وقد ذكرت بعضهم أعلاه- ومنهم أيضا ما قام به محمد بوراس⁹ مؤسس الكشافة الإسلامية من مساعي لدى الألمان بغرض الحصول على الأسلحة والدعم منهم لمواجهة فرنسا ولكن مصالح الجوسسة الفرنسية تقطعت لنشاطاته فألقت القبض عليه يوم 8 ماي 1941 وأعدمته رميا بالرصاص في 27 من نفس الشهر و السنة (العلوي، 1994: 186) بتهمة الاتصال بالعدو وتسليمه وثائق سرية (جوليان، 1976: 280).

مواقف الجمعيات والأحزاب

لم تتوان بعض أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية أيضا في الاحتكاك و التواصل مع الألمان لخدمة القضية الجزائرية، فالاتجاه الإصلاحية بقيادة ابن باديس رغم ادعائه الحياد كان قد دعا الجزائريين للاستماع إلى البرامج الإذاعية الألمانية التي كانت تبدأ برامجها ببث آيات بيّنات من القرآن الكريم وتهيبها بدعوة الله إلى نصره الإسلام (Recham.B:195-199)، وفي مناسبة أخرى قبيل اندلاع الحرب في اجتماع رسمي لجمعية العلماء المسلمين صرّح الطبيب العقبي بأن " كل الشعب الجزائري وفيّ ومستعد للمحاربة من اجل فرنسا، وشكر فرنسا على حبّها للجزائر وعلى الخيرات التي بذلتها لبلادنا"، عندها ردّ ابن باديس ان فرنسا لم تسد أبدا خيرا

للجزائر، وان الجزائريين لا يحاربون أعداءها (عبدون، 2013: 46) وهو ما يعني ضمناً أن زعيم الجمعية لا يرى مانعاً في مساندة الألمان أو على الأقل اجتذاب معاداتهم.

في الغالب الأعم اصطف معظم دعاة الإدماج الجزائريين إلى جانب فرنسا وفاء منهم لقناعاتهم وحفاظاً على مصالحهم و امتيازاتهم فنرى بعضهم انخرط أو تطوع في صفوف الجيش الفرنسي لمحاربة النازية و الفاشية و دفاعاً على الحرية و الديمقراطية، و البعض الآخر وظّف وسائل الإعلام المحلية للجزائريين و المعمرين للدعاية لصالح جماعة فيشي أو لجماعة ديغول كل حسب تموقعه و علاقاته و مصالحه.

ومن ابرز و أوضح مظاهر التأثير و التفاعل مع الدعاية النازية هي تلك التي تجلّت في المواقف و الأدبيات السياسية لكل من حزب الشعب الجزائري و الحزب الشيوعي الجزائري، الأول محاولاً الاستفادة من ألمانيا لدعم الكفاح الوطني والثاني لإسناد فرنسا في حربها ضد الفاشية و النازية من منظور إيديولوجي و انسجاماً مع الخط الرسمي للحزب الشيوعي الفرنسي و من ورائه الأهمية الشيوعية .

حزب الشعب الجزائري

حسب اجرون و إن لم يكن الموقف الرسمي والمعلن للحزب فإن بعض أعضائه اتصلوا و تحادثوا سرّياً مع الألمان، فقد سافر أعضاء من حزب الشعب إلى برلين للتعبير عن معارضته لتجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي، وكان الايطاليون يمولون لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا التي ظهرت داخل حزب الشعب الجزائري (اجرون، 2008: 569-572). ودائماً في سياق نشاطات حزب الشعب الجزائري نجد انه من ابرز مظاهر التفاعل مع ألمانيا النازية هو ما قام به بعض أعضاء الحزب في غياب مصالي الحاج الذي كان مسجوناً مع 27 من رفاقه وهو تأسيس لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا ((C.A.R.N.A) في منتصف سنة 1938 وفي جانفي 1939 بالنسبة لآخرين(بلقاسم رشام)، من طرف: طالب محمد، فليته احمد، وعمارة رشيد، حمزة عمر، مقيدش لخضر، مسعودي عمار، هني محمد، لزلي احمد، قاسي الشريف.وقد صّرح احد أعضاء هذه اللجنة،المدعو محمد عبدون: "نحن لا نستطيع إحراز استقلالنا إلا بالتحالف مع دولة كبرى تناصب العداء لفرنسا " (Recham.B:195-199)، وبوساطة ياسين عبدالرحمان توجّه ستة أعضاء من هذه اللجنة إلى ألمانيا في ربيع سنة 1939 أين تم استقبالهم ليستفيدوا من تكوين مكثّف لمدة 25 يوماً في استعمال السلاح و تقنيات التخريب، واستمرت الاتصالات سنوات 1940 ثم 1941 وتم الاتصال أيضاً بلجنة وقف إطلاق النار الإيطالية الحليفة للألمان وذلك بمساعدة موظف جزائري في قنصلية ايطاليا بالجزائر اسمه سعيد المدعو ديافولو وكان ردّهم مثل رد الألمان حيث عرضوا عليهم الأموال فقط لا الأسلحة (م.قداش، 2012: 822-838). لم يتوقف نشاط جماعة " الكارنا" المتفائلين والأملين في استغلال دول المحور لصالح القضية الوطنية واتخذ ابتداء من افريل 1941 شكل حملة من الكتابات الحائطية التي تدعو للثورة بشكل راديكالي باستغلال عداوة ألمانيا و ايطاليا لفرنسا المحتلة وكان من ابرز ما كتب:

- الجزائر للجزائريين

-عاش حزب الشعب الجزائري

-أطلقوا سراح مصالي الحاج

-يسقط المارشال(بيتان) (م.قداش، 2012: 822-838).....

لما تنهى الأمر إلى مسامع مصالي الحاج في سجنه غضب غضباً شديداً، وحسب شهادة العديد من المسؤولين كان الزعيم مصالي الحاج ينبذ طلب المساعدة من الفاشيين و النازيين (م.قداش، 2012: 822-

838) ودعا مجموعة من هؤلاء إلى تقديم استقالتهم من الحزب اذكر منهم : الطالب محمد، عمارة رشيد، بلكرور موسى، بوقادوم مسعود المدعو الحواس، هني محمد المدعو دقي أو دكي، الدكتور واكلي، الأستاذ ساحلي، ومحمد عبدون الذي اقترح عليه مصالي الحاج تولي الأمانة العامة للحزب إلا انه فضل التضامن معه رفقائه المقصيين فانسحب هو الآخر بعد ذلك (م.قداش، 2012: 822-838).

وعلى الرغم من أصدته تصريحات مصالي الحاج إلا أن ذلك الحراك لم يتوقف لكنه دفع البعض إلى التردد أو التريث و التحلي بمزيد من اليقظة والحذر لعلم هؤلاء أن الألمان وحلفائهم الايطاليين لم يدخلوا هذه الحرب إلا لأغراض توسعية استعمارية هم أيضا. وقد اجتمع البعض الآخر من تلك الجماعة مع مطلع عام 1943 في مدرسة الرشاد بالعاصمة حضره مسير المدرسة سيد علي عبد الحميد ومعلم المدرسة احمد بن الشيخ ومناضلون آخرون منهم محمد طالب، حسين عسلة، علي جاليت، عبدالمالك تمام، محمود عبدون، والتحق بها بعد ذلك حمو بوتليليس وجمال دردور والشاذلي المكي والحاج حسين، وشرع هؤلاء في شن حملات لتعطيل تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وشراء الأسلحة و تخزينها و تنظيم المظاهرات و غيرها من النشاطات التعبوية (د.ت.بومديني).

الحزب الشيوعي الجزائري

اصطف الشيوعيون الجزائريون مع الحزب الشيوعي الفرنسي الذي بدوره اصطف إلى جانب حكومته بدعوى معاداة النازية و الفاشية فنراه قد ناصب العداء لكل اتخذ موقفا معاديا لفرنسا أو مؤيدا أو متعاطفا مع النازية و الفاشية، وبما أن دعاة الاستقلال كانوا من اشد الجزائريين عداوة لفرنسا و بعضهم – الاستقاليين- حاول الاتصال بألمانيا والاستفادة من دعمها، لذا وجدت بأن الشيوعيين الجزائريين صبوا كل غضبهم على حزب الشعب الجزائري ، ورد في منشور حزبي للحزب الشيوعي الجزائري مؤرخ يوم الثالث ماي 1945 بعنوان : "ليسقط المحرّضون" يتهمون فيها حزب الشعب بأنه هو المتسبب في الإحداث الدامية التي جرت في الفاتح ماي من نفس السنة (Mekhaled, 2012: 5-19) كما اعتبر الشيوعيون الجزائريون أن مظاهرات الثامن ماي ليست ثورة عربية وإنما هي مؤامرة فاشية، وان ما وقع في سطيف هو أن هناك شرذمة من المحرضين المنحرفين والقلة المسلّحين تم تجنيدهم من طرف حزب الشعب الجزائري قتلوا بكل برودة دم وبطريقة هتلية (Mekhaled, 2012: 5-19)....

بعد عام 1942، أي بعد نزول الحلفاء بشمال إفريقيا وتراجع القوة الألمانية، انحسر تأثير الدعاية الألمانية لتحل محله الدعاية الانجلو-أمريكية، وخاصة الأمريكية، فتأثر بعض الجزائريين بالدعاية الأمريكية، خاصة بعد ما عرف عن الرئيس الأمريكي من دعواته المتكررة للحرية و تقرير المصير عقب لقاء الأطلسي فانفتحت على اثر ذلك كانت قنوات الاتصال بين ممثلي التحالف في الجزائر (ماكميلان البريطاني ومورفي الأمريكي) و العناصر الوطنية التي أصبحت تعلق آمالا كبيرة وواعدة في الخلاص على أيديهم، في مدينة البلدة مثلا كَوْن بعض طلبة الثانوي نوادي اهتمت بتعلّم اللغة الانجليزية، منهم أمحمد يزيد ومصطفى الاشرف وعبان رمضان وسعد دحلب و بن يوسف بن خدة و غيرهم. وكان أكثرهم تقربا واتصالا مع البريطانيين والأمريكيين فرحات عباس الذي وضع صورة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في الواجهة الداخلية لصيدليته (Meynier, 2002: 85)

هذا الاتصال و التقارب اعتبرته فرنسا تدخلا سافرا في شؤونها " الداخلية" ومعاملة مريبة تخفي وراءها نوايا سيئة من شأنها تهديد الوجود الفرنسي في الجزائر، ولم تعرف العلاقات الفرانكوبريطانية استقرارا

محسوسا إلا بعد تولي شارل ديغول قيادة لجنة التحرير الفرنسية و التفاف اغلب القيادات حوله وذلك بعد طرد قوات المحور من تونس وبداية حملة ايطاليا ثم تحرير فرنسا نهائيا في أوت 1945.

الخلاصة:

إن الدعاية الألمانية في الجزائر لا ترتبط بأحداث الحرب العالمية الثانية فقد عاشتها الجزائر قبيل وخلال الحرب الكبرى، وقبيل وخلال الحرب العالمية الثانية لم تدخر ألمانيا النازية ولا خصومها في الجزائر جهدا ولم يعدموا وسيلة يمكن من خلالها التأثير على الجزائريين إلا و قد استخدمها مثل الصحف والمناشير وأمواج الراديو.....، فالحرب بينهما لم تكن بالأسلحة فقط، فهناك وسائل أكثر فتكا بالنفوس و العقول لذلك كان الجزائريون وسيلة وهدفا للمتنافسين المتحاربين وفي كلا الحالتين هم في وضع الضحية أولا و أخيرا، و قد كان الجميع يسعى لكسبهم إلى جانبه أو على الأقل تحييدهم.

إذا كان النازيون قد حققوا نجاحات عسكرية باهرة بين 1939-1942 خطفوا خلالها أنظار بعض الجزائريين و اسروا عقولهم إلا أن نزول القوات الانجلو-أمريكية في خريف 1942 ساهم في تراجع التأثير الألماني لصالح الحلفاء بعد الهزائم المتوالية للمحور في جبهات الحرب فتزعزعت ثقة الجزائريين المنبهرين بالقوة الألمانية بل حتى الألمان أنفسهم انهارت معنوياتهم فحسب بعض التقارير أشارت إلى أن هتلر اعترف بأخطائه السياسية و ندم على انه لم يتبن سياسة ثورية في شمال إفريقيا، وقد قال انه " كان بإمكاننا لوحدنا تحرير شعوب شمال إفريقيا الواقعة تحت الهيمنة الفرنسية ، وكان سيكون لذلك صدى كبيرا في مصر وكامل الشرق الأدنى الواقع تحت الهيمنة البريطانية...كان كل المسلمين يهتزون لانتصاراتنا. المصريون و العراقيون وكل الشرق الأدنى كان مستعدا للثورة..." وأضاف وزيره للدعاية غوبلز "أن...الدعاية التي تعتمد على الكذب لا يمكن أن تنجح على المدى البعيد.(Ageron C. R., 1980)

بالمحصلة نظرا لانتصار الحلفاء على المحور في نهاية الحرب العالمية الثانية، فشلت الدعاية النازية في تحقيق أهدافها، كما فشل الجزائريون الحالمون بالحصول على الدعم النازي وتوظيفه لتحرير بلادهم من الهيمنة الفرنسية إلا انه بإمكاننا تسجيل مكسبين هامين حققهما هؤلاء الحالمون واستفادت منهما الحركة الوطنية الجزائرية في مسارها السياسي والثوري: أولهما هو إسهام الدعاية النازية والدعاية المضادة لها في تنشيط الحقل السياسي و الثقافي و الإعلامي وهو ما من شأنه رفع مستوى الوعي و النضج وبالتالي القدرة على الفرز و التمييز بين ما هو تكتيكي و ما هو استراتيجي. وثانيهما زرع بذرة العمل المسلح مبكرا في عقول هؤلاء الشباب الحالمين الذين التقوا حول "الكارنا" التي كانت أول نواة تنظيمية للعمل المسلح ضد الاستعمار الفرنسي.

- الاحالات

- 1 جوزيف ديبارمي (Joseph Desparmet(1863-1942) باحث مستشرق فرنسي للمزيد انظر: http://data.bnf.fr/12139025/joseph_desparmet visité le 10-5-2016
- 2 بول جوزيف غوبلز (1897-1945) Paul Joseph Goebbels وزير الدعاية في الحكومة النازية الألمانية (موسوعة ويكيبيديا)

3 الليفانت: Levante او Levant تعني الشروق أو بلاد الشرق وهي تسمية أطلقها في القرون الوسطى أهالي مدينتي جنوة Genova والبندقية Venise الايطاليتين على الجزء الواقع على الشواطئ الشرقية للمتوسط، استمرت التسمية

شائعة خلال القرن التاسع عشر وأقلع المهتمون بالمنطقة عن استعمالها في النصف الثاني من القرن العشرين، انظر: زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ص 10.

4 الفوج الخامس للرماة الجزائريين RTA5 :eme تأسيس هذا الفوج في المغرب عام 1913 وتشكل من ثلاث فيالق تنتمي للفوج الأول للرماة الجزائريين، تم إشراك فيالق من الفوج الخامس للرماة الجزائريين في قمع الانتفاضات في المغرب وفي جبهات الحرب العالمية الأولى و الثانية كما شارك جبهات المشرق ضمن جيش الشرق الفرنسي وأقم أيضا في مواجهة الثورة الجزائرية المسلحة عام 1954، تم حل الفوج نهائيا عام 1962. للمزيد انظر: <http://www.les-tirailleurs.fr/unites/3-rta>

5 الناحية العسكرية 19 : هي ناحية الجزائر ضمن تقسيم النواحي العسكرية الفرنسية آنذاك، و يقع مقر القيادة العامة لهذه الناحية في ساحة بيجو (ساحة الأمير عبد القادر حاليا) في قلب الجزائر العاصمة.

6 الصبايحية R.S.A.: فرق عسكرية خيالة من سكان الجزائر منذ العهد العثماني، كان الأتراك يسمون الجندي منهم "سباهي" وجمعهم "السباهية" وتعني سباهي: خيال، حرقها الفرنسيون "صباهي" واغلب الباحثين فضلوا "صبايحي" اما عند عامة الشعب فيقولون "سبايسي وسبايس".

7 احمد محساس أو مهساس 1923-2013 سياسي جزائري ومناضل شارك في تأسيس جبهة التحرير الوطني. عضو مجلس الثورة الجزائري. (موسوعة ويكيبيديا).

8 حزب الشعب الجزائري PPA : هو حزب سياسي ثوري جزائري خلف نجم شمال إفريقيا ، تأسس في المهجر بفرنسا عام 1937 بقيادة مصالي الحاج ، قاد الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي حتى عام 1946 ليترك مكانه لحركة انتصار الحريات الديمقراطية.

9 محمد بوراس (1908-1941) قائد ومؤسس الكشافة الإسلامية في الجزائر

قائمة المراجع:

- اجرون شارل روبرير. (2008). تاريخ الجزائر المعاصر. الجزائر: دار الأمة.
- اندرى شارل جوليان. (1976). إفريقيا الشمالية تسير. تونس- الجزائر: الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب.
- زين العابدين بشير. (2008). الجيش والسياسة في سورية (1918-2000). لندن: دار الجابية.
- زين نور الدين زين. (1971). الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان .
- سعد الله ابو القاسم. (1983). الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- سعد الله ابو القاسم.. (1986). الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عبدون محمود. (2013). شهادة مناضل من الحركة الوطنية. الجزائر: منشورات دحلب.
- العلوي محمد الطيب. (1994). مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
- على عبد الرحيم جهان بنت علي شار. (2011). الآثار السياسية و الحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام 1924-1939 . أطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى. المملكة السعودية .
- قداش محفوظ (2012). تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. الجزائر: دار الأمة.
- محساس احمد. (2003). الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى الى الثورة المسلحة. الجزائر: دار القصة.
- نويهض عادل (1980). أعلام الجزائر. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.

هيرزويك لوكاز. (2015). لوكاز، هيرزويك، ألمانيا الهتلرية و المشرق العربي، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

A.Bernard.(1915). L'Allemagne et l'Afrique du Nord, "Algérie ". Bulletin du comité de l'Afrique du Nord.

Ageron Charles Robert(1980) . L'Algerie Algerienne de Napoléon3 a de Gaulle. Sindbad.

Ageron Charles Robert. (1979). Les populations du Maghreb face à la propagande allemande pendant la deuxième Guerre mondiale. . Revue d'histoire de la 2ème Guerre mondiale, n°114.

Ageron Robert charles (sd). Le Parti Communiste Algérien de 1939 à 1943. In: Vingtième Siècle, . N°12, octobre décembre, Revue d'histoire.

Boucif Mekhaled. (2012). La propagande Allemande en Algerie durant la seconde guerre mondiale. Oussour Al Jadida.

Boukaboya.AH. (1917). Les Soldats Musulmans au Service de la France. Lausanne: Librairie Nouvelle de Lausanne.

Clayton Anthony.. (1994).Histoire de l'Armée Francaise en Afrique. Paris: Albin Michel.

Desparmet.J. (1915). Quelques échos de la propagande allemande à Alger. Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord .

J.Gérard.(2013). Bernard ,Augustin. Dictionnaire biographique de géographes français du xxe siècle aujourd'hui disparu.

Lieutenant El Hadj Abdallah. (1915). L'Islam dans l'Armée Française (guerre de 1914-1915). Constantinople: s.m.ed.

Meynier.G. (2002). Histoire intérieure du F.L.N 1954-1962. Paris. Fayard.

Meynier.G. (2010). L'Algerie Révelée. Alger: el Maarifa.

Recham. B. (1996). les Musulmans Algériens dans l'Armée Francaise (1919-1945), Paris: l'Harmattan.